النظام ان امتيازات محازبيه لم يعد بالامكان الاحتفاظ بها ؛ فالمعروف ان اي تمتع بامتيازات هو بالضرورة حرمان لحقوق . وبحيث ان لبنان يسوده نظام يجيز مثل هذا التمتع ويسمح بمثل هذا الحرمان فقد تعمد التيار الانعزالي المهيمن ان يصور عملية المطالبة بحقوق وكانها عملية انتزاع الامتيازات الى المطالبين بالحقوق ، وبرغم ان عددا كبيرا من الوطنيين في الدوائر المسيحية ادرك انه لا مفر من بقاء عهد الامتيازات فانهم كانوا بنفس الوقت حريصين على ضمان حقوق من انتزعت منهم الامتيازات ، كذلك كان ضروريا ايضا ان تطوق محاولات بعض الزعماء الطائفيين التقليديين من المسلمين . ان مطالبة المحرومين بحقوقهم لا يمكن ان تستغل في غاية تجيز وراثة امتيازات لهم بل تعني قيام نظام تؤمن بواسطته حقوق المواطنين ــ كمواطنين وليس كأقليات او اكثريات او منتسبين الى طوائف . هنا تصبح العلمانية شرطا للتلاحم الوطني ويصبح التوجه نحو ضمان حقوق المواطنين شرطا للحيلولة دون العودة الى دولة الامتيازات .

× × ×

ان الازمة اللبنانية في حدتها ومآسيها ناتجة اذن عن العوامل الذاتية التي جعلت من التركيبة الطائفية ورجحان النزعة الاستئثارية في النظام قادرة على الاستمرار . كما انها ناتجة عن مجموعة السلبيات التي افرزها جمود النظام في معالجة القضايا الاجتماعية الحادة القائمة والمستجدة . كما ان الازمة زادت تعقيدا بطبيعة التخلف في القيادات السياسية والتقليدية الذي يميز عادة كل القيادات المستندة او المستمدة من الواقع الطائفي . كما ان التركيب الطائفي والقبول به او بالاحرى استساغته عند القيادات التقليدية جعل صانعي القرار في موقع المجابهة والتصادم مع مواقع التفكير في لبنان مما ادى الى جعل السياسة والفكر في لبنان يعيشان في عالمين مختلفين وغريبين عن بعضهما البعض . وبرغم استعانة اصحاب القرار ببعض اصحاب الرأي فان هذا يتم اما للتغطية او من موقع التعالي وليس اقتناعا من صاحب القرار بأن المناخ الفكري المتطور هو الكفيل بجعل القرار مناسبا مع مستلزمات العصر ومقتضيات التحدي .

ولبنان النظام ظل يماطل في معالجة قضاياه المصيرية واليومية وظل يتجاهل مشاكله الاقتصادية والاجتماعية وتطلعات اجياله الصاعدة حتى انفجرت بوجهه انفجارا قويا داميا ، اظهر بشكل لم يعد يرقى اليه اي شك مدى سرعة العطب في واقعنا واحتمال ديمومة هذا الواقع اذا لم ندخل على النظام التعديلات الجذرية المتناسقة مع شروط التغيير والتحول .

لكن الازمة وصلت الى نقطة انفجارها الدموي في ظرف ووقت تمكن التيار الانعزالي اليميني في النظام أن ينتزع في كثير من الاحيان زمام المبادرة لجهة الانقضاض ، لأن احداث المنطقة ــ وخاصة اتفاقية سيناء والقبول بالمفاهيم الاميركية لهذه الاتفاقية والخلفية السياسية التي سبقت هذه الاتفاقية ــ مكنت الى حد كبير من تفلت التيارات الانعزالية المماثلة في عدد من الاقطار العربية .

لقد أدت اتفاقية سيناء الى تفلت القوى الانعزالية والمتربصة وكان اعنف تعبير لهذا التفلت في الساحة اللبنانية نظرا لترهل نظامه الطائفي الراسمالي من جهة ، ولتواجد ركائز اساسية للقضية الفلسطينية . اذ ان الهدف المستمر للمخططات الامبريالية في هذا الصدد تحويل لبنان من قوة فاعلة للمجابهة وللمشاركة في معركة المصير الى احد فكي كماشة ليكون احدى المصائد للمقاومة الفلسطينية ــ طليعة النضال العربي المعاصر .